

محمد إقبال

شاعر الإسلام وفيلسوف

للدكتور عبد الوهاب عزام

بقية ما نشر في العدد الماضي

~~~~~

ومن كلامه في « نقش فرنك » وهو القسم الرابع من « أيام مشرق » :

بجميعه الأقوام

يريد المرزءون أن يسنوا سنة جديدة ليمحوا آية الحرب  
من هذا المحفل المتيق  
فاعرف قبل اليوم أن جماعة من سراق الأكفان ألقوا  
جماعة لتقسيم القبور

نبتة

خفق قلبه لضعف عناصر الإنسان، وخلق فكره الحكيم  
صورة أحكم وأتمن، فأثار بين الفرنج هياجاً بمد هياج : مجنون  
ولج مصانع الزجاج

إذا بنيت نعمة ففر منه، فليس في نايه إلا قصف الرعد . قد  
دفع مبغضه في قلب الغرب واحمرت يده من دم الصليب . هذا الذي  
بنى مبدأ للصنم على قواعد الحرم ، قد آمن قلبه وكفر دماغه

جهل الدين الرومي وهبيل

كنت ليلة أحاول أن أحل عقد الحكيم الألماني . ذلك الذي  
خلع فكره على الأبدى كسوة الآتي ، والذي أخجل العالم إذ ضاق  
من سمة خياله . فلما نزلت في بحره صارت سفينة العقل طوفاناً ،  
ثم سحرني النوم فأغمضت عيني عن الغاني والباقي ، وازداد شوقي  
وقدة فتجلى لي وجه الشبح الإلهي : الشمس التي أضاءت  
آفاق الشام والروم ، والذي وضع شعلته مصباح هدى في هذه  
الدنيا المظلمة ، الذي تنمو الماني من كلاته كما تنمو شقائق النمان

١٠٠٥٩

قال لي كيف تنام . استيقظ ، إنك تجرى سفينة في سراب .  
إنك تجتاز طريق الفسق بالعقل . إنك تبحث عن الشمس بمصباح

\*\*\*

وأما أسرار خودي ورموز بن خودي : أي أسرار الدانية  
ورموز اللاذاتية (أو أسرار الأناانية ورموز الإيثار) ، فهما  
المنظومتان اللتان شرح فيهما آراءه شرحاً مرتباً وجعل للبحث  
خطة واضحة

بين في الكتاب الأول قوة الدانية وضرورتها في الحياة ،  
ودعا إليها : هذه الحياة جهاد مستمر ، والرجل الحى حقاً هو  
الذي يوقظ كل قواه ، ويستخرج كل ما في فطرته ، ويتأهب  
بمواهبه وأدواته للجهاد . السكون موت ، والتقليد فناء ، والحركة  
حياة ، والاستقلال وجود ... الخ

وبين في رموز بن خودي كيف تلتئم هذه الفردية القوية  
الكاملة في الجماعة ، وكيف تقوى الجماعة وتضعف ، وكيف  
تصلح وتفسد ، وكيف تهتدى وتضل :

يشرح في أسرار الدانية بمد المقدمة موضوعات منها :  
أصل نظام العالم من الدانية ، وتسلسل حياة أعيان الوجود  
موقوف على استحكام الدانية

حياة الدانية من تخليق المقاصد وتوليدها

الدانية تستحكم من العشق والمحبة

» تضعف بالسؤال

» إذا استحكمت تسخر قوى المعالم الظاهرة والخفية

في الدانية من اختراع الأقوام العلوية ليضعفوا من طريق  
خفي أخلاق الأقوام الغالبة

أفلاطون الذي أثر في التصوف والآداب الإسلامية ذهب  
مذهب الخروفيه ، والاحتراز من أنكاره واجب

ثم بين أن تربية الدانية لها ثلاث مراحل : الأولى الطاعة ،  
والثانية ضبط النفس ، والثالثة النيابة الإلهية

في المقطوعات الثانية يتكلم في مثل هذه الموضوعات :

الامة تظهر من اختلاط الأفراد ، وكال تربيتها من النبوة .

وأسرع المطار، وكن سحابة يرى البروق ويمطر البحار، ليستجدي  
البحر إحسانك ويشكو ضيقه عن إنعامك ويرى نفسه أقل من  
موجة لديك، ويرغى على قدميك

### قصيدة الطائر الذي أهرقه العطش

— بلغ العطش من طائر جهده فاضطرب نفسه موجة من  
الدخان في صدره، فأبصر في بستان شذرة من اللامس الوضاء، فحبل  
إليه العطش أنها ماء، وخذعت الطائر المجهود هذه الشذرة الثلاثية  
كالشمس فتوهم الحاجر الصلب ماء سائلا، وغره من هذا الجوهر  
بريقه فضرب بمنقاره فلم تنفع غلته. قالت الماسة: أيها الطائر  
المسحور! لشد ما ضربت بمنقار القورور! لست قطرة من الماء،  
ولامشربة للقاء ليست حياتي من أصل غيري. إن محاولة التقاطي  
جنون وغرور، وغفلة غن الحياة الدائية الظهور. إن مائي يكسر  
من الطير منقاره، ويصدع من الإنسان جوهر روحه. خاب  
— أمل الطائر فأعرض عن هذه الشذرة الوضاء، واثقل الأمل  
في صدره حسرات، واستحالت أيتها هذه النفات. ثم بصر  
بقطرة من الطل على فنن من الورد تتلأل كدمعة من غين البلبل  
ضياؤها أفنانا في وهج الشمس وهي من خوف الشمس في رعدة  
كوكب ولدت السماء قلبت لمحمة في نشوة الظهور والضياء، وخذعته  
ألوان الأكام والأزهار فلم يأخذ من الحياة نصيبا كدمعة العاشق  
العليل، زانت الهدب لتسيل.

ويسرع الطائر إلى فنن الورد فيلتقط قطرة الندى

— أيها المبتغي نجاة من الأعداء! خبرني أجوهر أنت أم قطرة  
من ماء. ألم تر إلى الطائر حين أذاب العطش مهبته كيف وقى  
بحياه غيره حياته؟ لم تكن القطرة في صلابة الجوهر، ولكن  
كانت الماسة صلبة المكسر

فلا تنفل عن حفظ الدائية لمحمة، وكن قطمة ماس لا قطرة  
كن ناضج القطرة راسخا كالجبال وتحمل بحاراً من السحاب  
المطال. وجد نفسك تقوى نفسك واستحل فضا بمجمود زيقك.  
أظهر نقمة الدائية من أوتارها، وتجل للناس بأسرارها

أركان الأمة الإسلامية — الركن الأول التوحيد — اليأس  
والحزن والخوف أمهات الشرور، والتوحيد يزيل هذه الأمراض  
الخبثية. الركن الثاني الرسالة — المقصود من الرسالة المحمدية  
تأسيس الحرية والمساواة والاخوة بين بني آدم — الأمة المحمدية  
مؤسسة علم التوحيد والرسالة فليس لها حدود مكانية. الأمة  
المحمدية ليس لها نهاية زمانية أيضاً — حياة الأمة تحتاج إلى مركز  
محسوس، وهو للمسلمين البيت الحرام

خلاصة معنى الكتاب وتفسير سورة الاخلاص  
وهذه أمثلة من أسرار خوري:

### نهر الكنج وهمديا

قال نهر الكنج يوم الجبل همالايا وهو يجري في سطحه! أيها  
المتوج بالبرد من فجر الخليفة والمتطرق بالأشجار الجارية، جملك الله  
نحي الساء، ولكن حرمك التبخر في المرء، ماغناء الرقاد والرسوخ  
والرفعة، وقد سلبت الحياة والحركة؟ الحياة سى دائم كاللوج:  
وجوده حركته الدائمة. فلما سمع الجبل تمبير النهر أرسل أنفاسه  
بحرا من نار وقال: يامن اتخذت صفحة مرآتي وأكننت مئآت من  
مثاله في صدري. هذا التبخر زينة الفناء! من ذهب عن نفسه  
فقد حرم البقاء. قد غفلت عن مقامك ونفرت بزوالك يا وليد الفلك  
الرفيع؛ إن خيرا منك الساحل الرضيع. قدمت نفسك قربانا  
للمحيط، وتترت روحك لقاطع الطريق. كن في بستانك وردا  
ولا تذهب وراء القاطف لتنشر عبيرك. إن الحياة ان تنمو في  
مكانك، وأن تنشر العبير في بستانك

خلت القرون وأنا في طينتي ثابت القدم، ونحسبني إلى الغاية  
لم أتقدم؛ كلا قد عظمت حتى بلغت السماء، واستراحت على سفحي  
الجوزاء. ضل وجودك في البحر الخضم. وصارت ذروتي مسجد  
الأنهم. عني بأسرار الفلك بصيرة، وأذني بطيرانه خبيرة. احترقت  
بنار السى الدائم فجمعت زردري الجواهر في صدري حجارة،  
وفي الحجارة النار، وليس للماء إلى هذه النار سبيل. إن كنت  
قطرة فلا ترق نفسك بيدك، بل جاهد اللجة وحارب اليم لحياتك.  
كن جوهر الألاء، يزيد جيد الحسنة ضياء، أواسم بنفسك

### في الكلام على الوقت

اسمع نكتة تضيء كالدر ، لتعرف فرق ما بين العبد والحر :  
العبد ضال في الليل والنهار ، والزمان في قلب الحر ضال . العبد ينسج  
من الأيام كفته ويخيط الليل والنهار على نفسه ، والحر يخالج نفسه  
من الطين ثم ينسج على الزمان عرابه المتين . العبد طائر في  
شبكة الصباح والمساء ، حرمت روحه لذة السبح في الهواء وسدر  
الحر الهام ، قفص لطائر الأيام . فطرة العبد تحصيل الحاصل ،  
وخواطره تكرار قاتل . مقامه من الجود واحد ، وصوته بالليل  
والنهار كد . والحر كل حين خلاق ، يسكب نممه بمجدة في الآفاق .  
فطرته لا تحتمل التكرار ، وليست طريقة خلقه البركار . العبد في  
سلاسل من أيامه ، والقضاء والقدر ورد لسانه ، وهمة الحر مشيرة  
على القضاء قصور يده الحاديات كما نشاء . الماضي والآتي مائلان  
لديه ، والآجل عاجل بين يديه ...

نضر الله عهداً كان سيف الزمان ، حليف أيدينا على الهدمان ،  
فبذرونا الدين في أرض القلوب ، ورفقنا الحجاب عن وجه الحق  
المحجوب ...

وحلت عقدة الدنيا أماننا ، ونضر وجه الأرض سجودنا ،  
وشربنا الصهباء من دن الحق ، ثم سرنا بنشوته بين الخلق . يامن  
أزعت كأسه الخمر المنيعة ، وأذابت كأسه الصهباء المحرمة ، وملاء  
الكبر والفردوس ، فمسيرنا بالفقر والتربة . لقد كانت كأسنا كذلك  
زينة المحافل ، يوم كنا وصدرنا بالقلب آهل ، ونار من غبار أقدامنا  
عصر حديد ، ينجل بكل أمل بعيد ، ورويت ضرعة الحق بدمائنا ،  
وسعد عبّاد الحق يلائنا ، ودوى العالم بتبكييرنا ، وعمرت كعبات  
من ترابنا . وأنزل الحق كلمة (اقرأ) فينا ، ثم قسم رزقه بأيدينا .  
فإن يكن ذهب منا الخاتم والتاج ، فلا تحقر ذلك الفقير المحتاج .  
إن نكن بزعمك مفسدين ، وبالأفكار العتيقة مغرمين ، فنحن  
لا نزال الأحرار أنصار التوحيد ، قوامين على المالمين والله شهيد  
فرغنا من غم اليوم والغد ، وحالفنا الله الأحد ، فنحن في قلب  
الحق سر مكنون ، ونحن ورثة محمد وموسى وهارون . لا يزال  
نورنا في الشمس والقمر مصوناً ، ولا يزال سحابنا بالبرق مشحوناً  
إن ذات السلم مراة الحق . وإن وجود السلم من آيات الحق

\*\*\*

هذه أمثلة قليلة من شعر إقبال ، ولا يقال من الآراء والفكر  
والخيالات ما يستعصى على الحصر . ولكن يستطيع دارس  
شعره أن يقول إن أدبه يتناول العالم كله ، وأن فلسفته تقوم على  
قواعد أيها القوة - قوة الفرد وقوة الجماعة وقوة الأخلاق -  
والاستقلال الذي لا يعرف التقاليد ، والحرية التي لا تضيّعها  
قيود ، والجمال في الأنفس والآفاق

ومقصده الأعلى تهذيب الإنسان وخاصة المسلم ، يشرح له  
من حقائق الحياة ، ويبين له من مثل الفضيلة ، ، ويكشف له عن  
أسرار الإسلام ومجد المسلمين الأولين حتى يملأه قوة وحاساً وأملًا  
وإقداماً ، ثم يوجهه في معترك الحياة إلى الناية التي عندها شرف  
الدنيا والآخرة . وليس يتسع المقام لتفصيل الكلام في فلسفة  
هذا الرجل العظيم وأدبه . وعسى أن أوفق إلى الإفاضة في ذلك  
من بعد : « إن الذي يعرف إقبالاً يعرف مصيبة العالم الاسلامي  
والأدب البشري بموته »

عبد الرقيب عزام

## مؤلفات

### الأستاذ محيى كامل حجاج

- ٤٠ بلاغة العرب جزءان ( مختارات من صفوة الأدب  
الفرنسي والانكليزي والألماني والاطال مع تراجم  
الشعراء والكتاب )
- ٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان ( متفرقات في الأدب  
والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان  
تمثيلتان )
- ١٨ نباتات الزينة المشبية ( محلى بإحدى وتسعين صورة  
فنية )
- ١٥ Les Plantes Herbacées ( محلى بنفس الصور  
السابقة )

الكتاب الأول والثاني في جميع المكتبات الشهيرة  
وكتب الزراعة تطلب من  
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا